بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة الكتاب :

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إلـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله.

أمّا بعد :

فيعدّ الشّيخ العلاّمة محمّد ناصر الدّين الألبانيّ (١٣٣٢ - ١٤٢٠هـ) رحمه الله تعالى أبرز شخصيّة علميّة في عصره أحيت رسوم علم الحديث بعد اندراسها حينا من الدّهر، وكان لجهوده المتواصلة أثر واضح في إحياء حركة الاشتغال بهذا العلم في مناطق شتّى من العالم الإسلاميّ، ويمكن القول إنّ الشّيخ مدرسة مستقلّة في فنّ الحديث، تميّز شيخها بانكباب منقطع النّظير على دراسة هذا العلم، واكتناه أسراره، ومعرفة قواعده، وفتحت له الخزانة الظّاهريّة بدمشق آفاقا بعيدة أوصلته إلى نوادر تراث أهل الحديث الذي جمعته خزائن حفّاظ أعلام ومحدّثين أكابر، في مقدّمتهم الإمام الحافظ الكبير محمّد ابن عبد الواحد المقدسي الشّهير بالضّياء ت ٦٤٣هـ صاحب « الأحاديث المختارة »، الذي أوقف خزانته على مدرسته الكائنة بسفح جبل قاسيون بدمشق، وهي ملآى بالكتب الحديثيّة الكبار، والأجزاء النّادرة الصّغار.

وتبع الضّياءَ في وقف الكتب على مدرسته عدةٌ من أعلام الحديث تُرى دائما أسماؤهم على غواشي كتب الحديث وأجزائه، ومن نظر في « معجم الكتب » الذي صنعه للمكتبة الحافظُ يوسف بن عبد الهادي الشّهير بابن المِبْرَد ت ٩٠٩هـ يصاب بالدّهشة لما حوى من نوادر الكتب ولطائف الأجزاء، والتي لا يُرى لها في عصرنا الحاضر أثر، ولا يُعرف عنها خبر، وما تبقّى من آثار تلك المكتبة الضّيائيّة آل بعضه إلى مكتبات شتّى، وكثيرٌ منها استقرّ به النّوى في المكتبة العمريّة الشّهيرة بدمشق، وكان للشّيخ العلاّمة طاهر الجزائري ت ١٣٣٨هـ جهود كبيرة في لَمّ شتات ما تفرّق في خزائن دمشق من مخطوطات، وجمعها كلّها في المكتبة الظّاهريّة العامرة.

ويأتي دور عَلَمِنا الألبانيّ لتحيا به تلك الآثار من جديد، ويسخّره الله تعالى - لحكمة يعلمها - إلى تصفّح تلك الأعلاق الحديثيّة النّفيسة التي صرّح الشّيخُ أنّه كان غافلا عنها، لولا تيسير الله تعالى إثر قصّة طريفة مع ورقة ضائعة من تصنيف كان الشّيخُ كلّف أحدَهم بنسخه من المكتبة الظّاهريّة، فأقبل الشّيخُ باحثا عن تلك الورقة في مجلّدات الظّاهريّة ومجاميعها، و لم يشعر حتّى أتى عليها كلّها، وألفى - رحمه الله تعالى - نفسه في خضمّ بحر لا ساحل له من تراث المحدّثين، وكان من ثمرات هذا التّصفّح فهرس نادر لنوادر مخطوطات الحديث بالمكتبة الظّاهريّة، أجاد الشّيخ في وصفها وبيان قيمتها العلميّة، كما تيسّر له اكتشاف عدد من الكتب التي اعتُبرت في عداد المفقود من تراث المحدّثين، وتمكّن لعلمه الواسع وذكائه المدهش من إخراج تصانيف كاملة من « دَشْتِ » المكتبة الظّاهريّة، وهو مجموعة من الأوراق المتناثرة والملازم المفكّكة يجمعها وصفُ المجهول؛ لذهاب عناوينها وجهالة مؤلّفيها. ثمّ يسّر الله للشّيخ إعادة الكرّة على تلك الآثار المخطوطة النّفيسة، فاستخرج من كتبها الكبار وأجزائها الصّغار مادّة واسعة من الأحاديث النّبويّة بأسانيدها العديدة وطرقها المتشعّبة، استعان بها الشّيخ في مشاريعه

النّافعة بعد أن تجمّع لـه قرابـة الأربعـين مجلّـدا ساعدته كثيرا في إنجاز تلك المشاريع العلميّة، وقد أشار إلى هذا في مقدّمة « المنتخب من مخطوطات الحديث ».

لقد آمن الألبانيُّ بالتّخصّص فانكبّ على علم الحديث انكبابا، فأبدع ما شاء الله له أن يبدع على قاعدة: « من تخصّص في فنّ أبـدع فيـه »، وأثمـر عملُـه الـدّؤوب علـى مصنّفات بديعة في تخريج الأحاديث النّبويّة خاصّة، وظهرت قدرةُ الشّيخ على استيعاب الطّرق والشّواهد والمتابعات، والاستخلاص الجيّد لمرتبة الرّاوي المختلف فيه بين المحدّثين توثيقا وتجريحا، وظهر ذلك جليّا في موسوعته الثّمينة : « إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السّبيل »، وسلسلتيه النّادرتين « الصّحيحة » و« الضّعيفة »، وقد وضع فيها الشّيخ عصارة علمه ونخالة فكره، وانتعش بها فنُّ التّخريج، وصُعد به إلى المراقي، وأحيا لنا الشّيخ بإروائه وسلسلتيه ذِكْرَ الحافظين ابن حجر والعراقي، وصار المشتغلون بالحديث عيالا عليه، وتأثّر عدد كبير بمنهجه الرّصين، وازدهر فنّ التّخريج، وأقبل المهتمّون زرافات ووحدانا على تحقيق مخطوطات الحديث التي عرفها الشّيخُ من زمن بعيد في المكتبة الظّاهريّة، وتجلّى فضله على هذه الحركة الحديثيّة المباركة، وذلك من فضل الله عليه، ومنّته على عَلَمٍ طال انكبابه على هذا الفنّ الذي آتى ثماره بعد حين.

إنّ المتأمّل في شخصيّة العلاّمة الألباني تتجلّى له سماتٌ بارزة، وخصائص نادرة، ساعدت على تبوّء الشّيخ مكانة في قلوب أهل العلم وطلاّبه، أوضحها عقلُه الكبير الذي ينمّ عن خبرة بالنّاس واسعة، وإتقان لما يزاوله الشّيخُ من أعمال، وقد علّمته مهنةُ إصلاح السّاعات ـ وهي دقيقة جدّا ـ دقّةً في أعماله العلميّة، ووضوحا في مناقشاته مع سائليه ومخالفيه، واختطّ لنفسه مسلكا صارما في الأجوبة والمناظرات يقوم أساسا على إنصات تامّ لرأي الآخر أو سؤاله، ولا يقاطعه الشّيخ أبدا بل يقبل عليه منصتا لعباراته، ومستوعبا لألفاظه، ومتأمّلا في كلماته، حتّى إذا فرغ المناظر أو السّائل نطق بعده الشّيخُ بعلم، بعد أن سكت حينا بحلم، وخرجت من فيه درر علميّة، وفوائد بهيّة، وكلمات

سَنِيّة، ونصائح سُنِّيّة، مدعّمة كلّها بحجج قويّة، لا تدع لمجالسه مجالا للتّشبّث برأيه القديم، ويقتنع بما أورده الشّيخ من براهين وسرده من بيّنات.

ومن أبرز سمات الشّيخ الألباني أيضا اشتغالُه المبكّر بالدّعوة إلى الكتاب والسّنّة، والتّذكير الدّائم بوجوب الاهتداء بهما وفق فهم سلفنا الصّالح، وذلك يقتضي معرفة الدّين الصّحيح الذي كان عليه النّبيّ الكريم محمّد ﷺ، والبعد التّام عن كلّ ما شوّه جماله وأفسد روعته، من بدع دخيلة، وخرافات ساذجة، وأحاديث ضعيفة وأخرى موضوعة واهية، وقد قام الشّيخ بجهد مشكور في هذا المجال، ولخّص دعوته الكريمة في كلمتين ذهبيّتين هما: « التّصفية والتّربية »، و يعني بهما تصفية الدّين ممّا علق به من بدع مضلّة ، وأفهام مزلّة ، وتربية النّشىء على الأخلاق الفاضلة و الشّيم الحميدة ، وضبط ذلك كلّه بكلام الله وحديث رسول الله و هدي السّلف الصّالح وفي مقدّمتهم أصحاب رسول الله ﷺ، خير من اقتفى هديه الكريم، وانتهج سبيله القويم.

إنّ الحديث عن الشّيخ الألباني ذو شجون، ولا تفي هذه المقدّمة بشيء من حقّه، وقد كتب عنه كثيرٌ من أهل العلم والفضل، وأفردت لترجمته تصانيف ممتعة تروي الغليل، وتعطي تصوّرا واضحا لمن رام معرفة حياة الألباني وسيرته ومؤلّفاته وثناء أهل العلم عليه، ويجمع تلك الكلمات والمصنّفات إشادةٌ واسعةٌ بعلم الألباني وفضله.

وهذا الكتاب: « حصول التّهاني بالكتب المهداة إلى محدّث الشّام محمّد ناصر الدّين الألبانيّ »، محاولة لإبراز مكانة الشّيخ في قلوب النّخبة العلميّة من خلال الإهداءات التي سطّرها المؤلّفون والمحقّقون في صدور كتبهم وتحقيقاتهم، وقدّموها هديّة لعَلَم أعجبوا بعلمه غاية الإعجاب، وأفصحوا له عن محبّتهم وودّهم وتقديرهم، وتفاوتت في ذلك عباراتهم، وتنوّعت مقالاتهم، واتّفقوا جميعا على إبداء مشاعر الإخاء والإعجاب والإشادة بعلم الشّيخ وفضله، ملقّبين إيّاه بأوصاف عديدة، وخلال حميدة، وداعين له بأدعية مباركة، وراجين منه إبداء ملاحظاته على مؤلّفاتهم أو تحقيقاتهم.

ولستُ أشكّ أنّ الشّيخ وقته أضيق من أن يفرّغ نفسه لتتبّع كلّ كتاب يُهدى إليه، لإقباله على تحقيق مشروعه الطّموح: « تقريب السّنّة بين يدي الأمّة »، لكن ذلك لم يمنعه أن يتتبّع بعض الكتب المهداة، وتقييد ما عنّ له من ملاحظات، واكتفى أحيانا بإبداء علامة الاستفهام على أمر يحتاج إلى مراجعة وتحقيق، ونظر وتدقيق .

فهذه ـ أيّها القارىء الكريم ـ بين يديك الكتبُ المهداة إلى محدّث الشّام، وقد بذلتُ في استخراج ما دُبّج عليها من إهداءات وقراءتها وتنظيفها وتنسيقها قُرابة حولين كاملين، وأسأل الله أن يجعل ذلك كلّه في ميزان الحسنات، ويثبّته في ديوان الباقيات الصّالحات. ولكَمْ وددتُ أن أحظى بإهداءات الشّيخ نفسه إلى الأعلام، ولعلّ الكرام الفضلاء يمنّون بها على أخيهم، لتكون هي الأخرى على وتيرة هذا الكتاب، بمشيئة الملك الوهّاب، ويتجلّى لنا حينئذ بإهداءات الطّرفين جانبٌ من جوانب الشّيخ الألبانيّ، التي تُعدّ تاريخا مهمّا تسعد به الأجيال اللاّحقة إن شاء الله، وتتمّ النّعمة لو تفضّلت أسرتُه الكريمة بنشر الرّسائل الشّخصيّة الخاصّة التي كانت تصل الشّيخ، ولو شُفعت بالرّسائل التي بعثها هو لبرز لنا جانبٌ آخر طالما اهتمّ به دارسوا الشّخصيّات العلميّة وهو : « الرّسائل المتبادلة بين العلم و أعلام عصره ».

وأخيرا أودّ الإشارة إلى أنّ الشّيخ أحسن صنعا حين أوقف مكتبته على الجامعة الإسلاميّة التي آوتها بكلّ سرور، وفتحتها لروّادها بكلّ حُبور، وسعت أن تتحقّق أمنيّة الألبانيّ بهذا الوقف، تلك الأمنيّة التي يلمحها قارىء وصيّته حيث قال ـ رحمة الله عليه ـ:

« وأوصي بمكتبتي كلّها سواء ما كان منها مطبوعا أو تصويرا أو مخطوطا ـ بخطّي أو بخطّ غيري ـ لمكتبة الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة ؛ لأنّ لي فيها ذكريات حسنة في الدّعوة للكتاب و السُّنّة على منهج السّلف الصّالح ، يوم كنتُ مدرّساً فيها ، راجيا من الله تعالى أن ينفع بها روّادها ، كما نفع بصاحبها ـ يومئذ ـ طلاّبها ، وأن ينفعني بهم و بإخلاصهم و دعواتهم ».

أمّا انتفاع الرّوّاد فحدّث عنه ولا حرج من طلبة الدّراسات العليا وغيرهم ممّن يجدون في مكتبة الألبانيّ نوادر الكتب والأجزاء، وعلى كثير منها طرر نادرة بخطّ الشّيخ رحمه الله. أمّا انتفاعك بهم وبإخلاصهم ودعواتهم فأبشر أيّها الشّيخ فالكلّ من محبّيك والمنتفعين بعلمك داعٍ لك بالرّحمة والرّضوان، متضرّعٌ أن يُكرمك بجنّته الكريمُ المنّان.

ولا أحسب أنّ تأليف أهل العلم للكتب سوى رغبة منهم في حصول الثّواب من ربّ العالمين، وتجدّد ذِكْرِهِم بالخير في الآخِرين، وحصول دعوات المستفيدين منها لهم عبر القرون والسّنين، وقد قال عبد الغافر الفارسي ـ كما في منتخب سياقه في ترجمة الحافظ البيهقي رحمهم الله تعالى ـ :

« جمع في تصانيفه بين علم الحديث وعلله، وبيان الصّحيح والسّقيم، وذكر وجوه الجمع بين الأحاديث، ثمّ بيان الفقه والأصول، وشرح ما يتعلّق بالعربيّة، على وجه وقع من الأئمّة كلّهم موقع الرّضا، ونفع الله تعالى به المسترشدين والطّالبين، ولعلّ آثاره تبقى إلى القيامة ». وقد جمعت كتبُ الألبانيّ حظّا وافرا من تلك الصّفات، ووقعت موقع الرّضا لدى الأعلام الثّقات، ونفع الله بها الطّالبين والطّالبات، والمأمول من منزل الآيات البيّنات، أن تبقى تصانيفُ الشّيخ ذخرا له بعد الممات .

ولا يسعني في ختام هذه المقدّمة إلاّ أن أشكر من تفضّل بقبول نشر هذا الكتاب الأخ الكريم الفاضل سعد بن عبد الرّحمن الرّاشد صاحب مكتبة المعارف، الذي أخرج كثيرا من مؤلّفات العلاّمة الألبانيّ وتحقيقاته وغيرها من نفائس كتب أهل العلم في أحسن حلّة وأبهى صورة، جعل الله ذلك في موازين حسناته، إنّه جواد كريم، وصلّى الله وسلّم وبارك على محمّد وآله وصحبه أجمعين.

وكتب :

د. جمال عَزُّون ـ المدينة النّبويّة

ضحى الثّلاثاء ١٥ ربيع الأوّل ١٤٢٥هـ

مدخل إلى الكتاب

وفيه ستّـة مباحث :

المبحث الأوّل : لمحة تاريخيّة عن الإهداءات .

المبحث الثاني : الشّيخ الألباني وإهداءات الكتب .

المبحث الثالث : تواريخ الإهداءات الواردة في الكتاب .

المبحث الرّابع : خصائص هذه الإهداءات .

المبحث الخامس : فوائد هذه الإهداءات .

المبحث السّادس : منهجي في جمع مادّة الإهداءات .

المبحث الأوّل : لمحة تاريخيّة عن الإهداءات

إنّ الإهداء شيء مارسه النّاسُ فيما بينهم منذ قرون غابرة، واقتضته الحياة الاجتماعيّة القائمة على تبادل المنافع التي يحتاجونها، ولا شكّ أنّ الهديّة في عرف البشر تعبير عن شعور بالمودّة نحو المهدى إليه، وغالبا ما تنتقى الهدايا من أشياء تسرّ وتبهج.

ويجد المتأمّل في معاجم اللّغة[1] عند مادة: " هدي " تعريفهم للهديّة بأنّها ما أتحفتَ بها غيرك، أو قدّمته إلى ذي مودّة، يقال: أهديتُ أُهْدي إهداءً، والمُهْدَى: الطَّبَقُ يُهْدَى عليه. وممّا يشير إلى قدم ظاهرة الإهداء قصّة سليمان عليه السّلام مع بلقيس ملكة سبأ، إذ طلب النّبيّ الكريم منها ورعيّتها مجيئهم إليه مسلمين طائعين، فأرسلت إليه هديّة تختبره فيها هل يقبل منها هديّتها وينصرف عنهم، أو لا يقبلها كما هو شأن الأنبياء عليهم السّلام، فيكون نبيّا صادقا وعليها حينئذ اتّباعه والدّخول في دين الإسلام، وفي التّنزيل العزيز: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[2].

قال الإمام الطّبري في « تفسيره » : « ذُكر أنّها قالت: إنّي مرسلة إلى سليمان لتختبره بذلك وتعرفه به أمَلِكٌ هو أم نبيّ؟ وقالت: إن يكن نبيّا لم يقبل الهديّة ولم يُرضه منّا إلاّ أن نتّبعه على دينه، وإن يكن مَلِكاً قبل الهديّة وانصرف »[3].

فأجابها النّبيّ سليمان عليه السّلام كما في قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾[4].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللّغة، ولسان العرب عند مادة : " هدي " .

(٢) النّمل : الآية ٣٥ .

(٣) جامع البيان ١٨/ ٥٢ ـ دار هجر.

(٤) النّمل : الآية ٣٦ .

قال الإمام الطّبري : « يقول: ما أفرح بهديّتكم التي أهديتم إليّ، بل أنتم تفرحون بالهديّة التي تُهدى إليكم؛ لأنّكم أهلُ مفاخرة بالدّنيا ومكاثرة بها، وليست الدّنيا وأموالها من حاجتي ، لأنّ الله تعالى ذِكْرُه قد مكّنني منها ، وملّكني فيها ما لم يملّك أحدا »(١).

وهكذا تتابع النّاس عبر قرون وأجيال على هذا الصّنيع، وفعل ذلك أيضا أهلُ الجاهليّة كما هو الشّأن مع سائر الشّيم المعروفة لديهم، وجاء الإسلام فأقرّ خُلُقَ الإهداء على اعتباره أمرا فطريا تتحقّق به مصالحُ ماديّة ومنافع معنويّة. بل كان نبيّ الإسلام ﷺ يقبل الهديّة ويكافىء عليها صاحبها، وذلك من كمال أخلاقه ورفيع شمائله عليه السّلام. قالت أمّ المؤمنين عائشة الصّدّيقة رضي الله عنها: « كان رسول الله ﷺ يقبل الهديّة، ويثيب عليها »(٢). وحثّ ﷺ على التّهادي وبيّن أنّه وسيلة من وسائل انتشار المحبّة والوئام فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: « تَهَادُوا تَحَابُّوا »(٣).

قال القرطبيّ في « جامعه »: « الهديّة مندوب إليها، وهي تُورث المودّة وتُذهب العداوة، وقد ثبت أنّ النّبيّ ﷺ كان يقبل الهديّة وفيه الأسوةُ الحسنة.

ومن فضل الهديّة مع اتّباع السّنّة أنّها تُزيل حزازات النّفوس، وتكسب المُهْدِي والمُهْدَى إليه رنّةً في اللّقاء والجلوس.

---

(١) جامع البيان ١٨/ ٥٨ ـ دار هجر.

(٢) أخرجه البخاري ٥/ ٢١٠، رقم: ٢٥٨٥ ـ فتح.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم: ٥٩٤ ـ المعارف، من طريق ضمام بن إسماعيل، قال: سمعتُ موسى بن وردان، عن أبي هريرة به. وضمام قال الحافظ: " صدوق ربّما أخطأ ". ولذلك حسّن الحديث في التّلخيص الحبير ٣/ ٧٠، وكذلك فعل الألبانيُّ في إرواء الغليل ٦/ ٤٤.

ولقد أحسن من قال :

هدايا النّاس بَعْضِهِـمُ لبعـضٍ ... تُوَلِّـدُ في قلوبهـمُ الوصـالا

وتـزرع في الضّـمير هـوى ووُدّاً ... وتُكسبهمْ إذا حضروا جَمالا

وقال آخر :

إنّ الهدايا لهـا حـظٌّ إذا وردتْ ... أحظى من الابن عند الوالد الحَدِبِ »[١].

ولمّا كانت الهديّةُ بهذه المثابة كان لزاما أن يهتمّ العلماءُ ببيانها وتفصيل أحكامها، ويجد الباحث من ضمن من أفردها بالتّأليف أبو بكر عبد الله بن محمّد المعروف بابن أبي الدّنيا ت ٢٨١هـ في كتاب سمّاه: « الهدايا »[٢]، وألّف أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربيّ ت ٢٨٥هـ: « الهدايا والسُّنّة فيها »[٣]، وقد وقع الكتابُ للحافظ ابن حجر وامتلك حقّ روايته[٤]، وألّف محمّد بن عمران المرزبانيّ الكاتب ٣٨٤هـ: « الهدايا »[٥]، وهو في ثلاثمائة ورقة فيما ذكر القفطيّ. ومع الأسف ضاعت هذه المصنّفات[٦] فيما ضاع من تراث المحدّثين واللّغويّين وغيرهم.

وبعد هذا السّرد التّاريخي الموجز يمكننا أن نفهم بسهولة أنّ الكتب المهداة هي امتداد لهذه الظّاهرة المتعارف عليها بين النّاس منذ قرون، فلا غرابة أن يسلك أهل العلم مسلك التّهادي للكتب، وهم بصنيعهم هذا يحقّقون الأمر النّبويّ الكريم،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٣٣، وأصل المادّة أخذها القرطبي من الحافظ ابن عبد البرّ في كتابه التّمهيد في شرح الموطّأ ٢١/ ١٨ ـ ١٩ .

(٢) انظر المعجم المفهرس رقم : ١٦٥ لابن حجر .

(٣) انظر معجم الأدباء ١/ ٥٠ ـ دار الغرب.

(٤) انظر المعجم المؤسّس ٢/ ٣٩٩، ومقدّمة تحقيق غريب الحديث للحربي ١/ ٤٩.

(٥) انظر إنباه الرّواة ٣/ ١٨٣.

(٦) لكن ثمّة جزء فيه أخبار حسان منتقاة من جزء منتخب من كتاب الهدايا للمرزباني انتقاها احمد اللّبودي ت ٨٦٦هـ، وهو مخطوط في مكتبة ليدن تحت رقم: ١٠٥٧، وعندي منه صورة.

ويسهمون في نشر العلم من خلال تصانيفهم المهداة؛ ولا شكّ أنّ الأمثلة في تاريخنا الإسلاميّ كثيرة تشهد بكثرة من أهدى كتبا أو أهديت إليه كتب، ومعي الآن بعض أمثلة تشهد لما سلف ذِكْرُه وسبق زَبْرُه :

١ ـ قال بقيّة: « استهداني شعبةُ " أحاديث بَحِير بن سعد " ، فبعثتُ بها إليه، فمات قبل أن تصل إليه »[١].

٢ ـ قال ابن دَرَسْتَوَيْه: « بلغنا أنّه ـ يعني أبا عبيد القاسم بن سلاّم ت ٢٢٤هـ ـ كان إذا ألّف كتابا أهداه إلى ابن طاهر فيحمل إليه مالا خطيرا »[٢]. وهذا من قبيل الكتب المؤلّفة برسم الخلفاء والملوك والأمراء والمهداة عادة إلى خزائنهم، وتسمّى نسخ تلك الكتب بالنّسخ الملوكيّة.

٣ ـ قال ابن سكّرة : « كان ـ أي الحافظ عبد المحسن بن محمّد الشّيحي ت ٤٨٩هـ ـ فاضلا نبيلا كيّسا ثقة، وكان عنده أصلُ أبي بكر الخطيب بتاريخ بغداد خصّه به. قال السّمعاني: هو الذي نقل الخطيبَ إلى العراق، فأهدى إليه تاريخه بخطّه »[٣].

٤ ـ قال أبو سعد السّمعاني: « أبو القاسم ـ يعني قوام السُّنّة إسماعيل بن محمّد التّيميّ ت ٥٣٥هـ ـ هو أستاذي في الحديث ... وهب أكثر أصوله في آخر عمره »[٤].

٥ ـ قال الضّياء المقدسيّ: « وقرأتُ عليه ـ أي على شيخه زاهر بن أحمد الأصبهانيّ ـ " الأربعين " للجوزقيّ، بسماعه من مشايخ، وكانت النّسخةُ لي فأوهبتها

---

(١) تاريخ الإسلام للذّهبيّ ـ وفيات ١٥٠هـ ، ص ٧٥، وانظر السّير ٨/ ٥٣٢.

(٢) سير أعلام النّبلاء ١٠/ ٤٩٣.

(٣) نفسه ١٩/ ١٥٣.

(٤) نفسه ٢٠/ ٨٤.

لأحمد بن العز »[١].

٦ ـ قال الذّهبي ـ في ترجمة الضّياء المقدسي ـ: « قدم دمشق بعد خمسة أعوام بعلم كثير، وكتبٍ أصولٍ نفيسةٍ، فتح الله عليه بها هبةً ونسخاً وشراءً »[٢].

٧ ـ وقال أيضا ـ في ترجمة محمّد بن علي بن يوسف بن ميسّر المصري المؤرّخ ـ: « وله تاريخ كبير ذيّل به على تاريخ المُسَبِّحيّ، وهبني منه مجلّداً الحافظُ قطب الدّين، وعلى المجلّد بخطّه: مختصر من تاريخ تاج الدّين محمّد بن علي بن أحمد بن ميسّر »[٣].

٨ ـ قال العلائيّ في « ثبت مسموعاته » : « مشيخة الشّيخ الكبير أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي الهيجا بن أبي المعالي بن عثمان بن أبي البركات الصّالحي المعروف بابن الزّرّاد تخريج الحافظ أبي عبد الله الذّهبيّ، في جزءين كبيرين عن شيوخه بأسمائهم، وهم أزيد من مائة شيخ، سمعتُها عليه بقراءة مخرّجها، ووهبني بعد ذلك النّسخة بخطّه، وكانت وفاة هذا الشّيخ في سادس شوّال سنة ستّ وعشرين وسبعمائة »[٤].

٩ ـ قال الصّفديّ ـ في ترجمة الأمير سيف الدّين أَسَنْدَمُر ت ٧١١هـ ـ: « ولمّا كان بحلب طلب الشّيخَ صدرَ الدّين ابن الوكيل وكان ذلك قبل صلاة الجمعة، وسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾[٥]، فقال: هذا الوقتُ يضيق عن الكلام في هذه المسألة. ووهبه: " أُسْد الغاب " لابن الأثير في نسخة مليحة وقال له: لازمني »[٦].

---

(١) ثبت مسموعات الضّياء المقدسيّ ٥٣.

(٢) تاريخ الإسلام ـ وفيات ٦٤٣هـ ، ص ٢١٠.

(٣) نفسه ـ وفيات ٦٤٣هـ ، ص ٢١٠.

(٤) إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة ق ١٤٩ أ.

(٥) النّجم : الآية ١ .

(٦) أعيان العصر ١/٥٣٦.

١٠ ـ قال ابن حجر: « ذكر لي الجمال المصريّ نديم الملك الأشرف أنّه ـ أي الفيروزآبادي ـ صنّف للأشرف كتابا سمّاه: " الإصعاد إلى رتبة الاجتهاد " في أربعة أسفار، وأهداه له في أربعة أطباق، فوهبه بدل كلّ مجلّد كيسا ! »[١].

وأختم هذا المبحث بصورة إهداءين نادرين ظفرتُ بهما على غاشية مخطوطتين :

الأولى : جزء فيه مسند أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه تصنيف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي القاضي المتوفّى سنة ٢٩٢هـ[٢].

جزء فيه مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه
تصنيف أبي بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي
رواية أبي أحمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن المفسر
أخبرنا به عنه أبو القسم علي بن محمد بن علي الفارسي
هذا الكتاب هدية من إبراهيم بن سعيد لأبي صادق نفعه الله به في الدنيا والآخرة
وجعله من عباده الصالحين

يقرأ نصّ الإهداء المثبت على غاشية النّسخة تحت العنوان كما يلي : « هذا الكتابُ هديّة من إبراهيم بن سعيد لأبي صادق ، نفعه الله به في الدّنيا والآخرة، وجعله من عباده الصّالحين » .

---

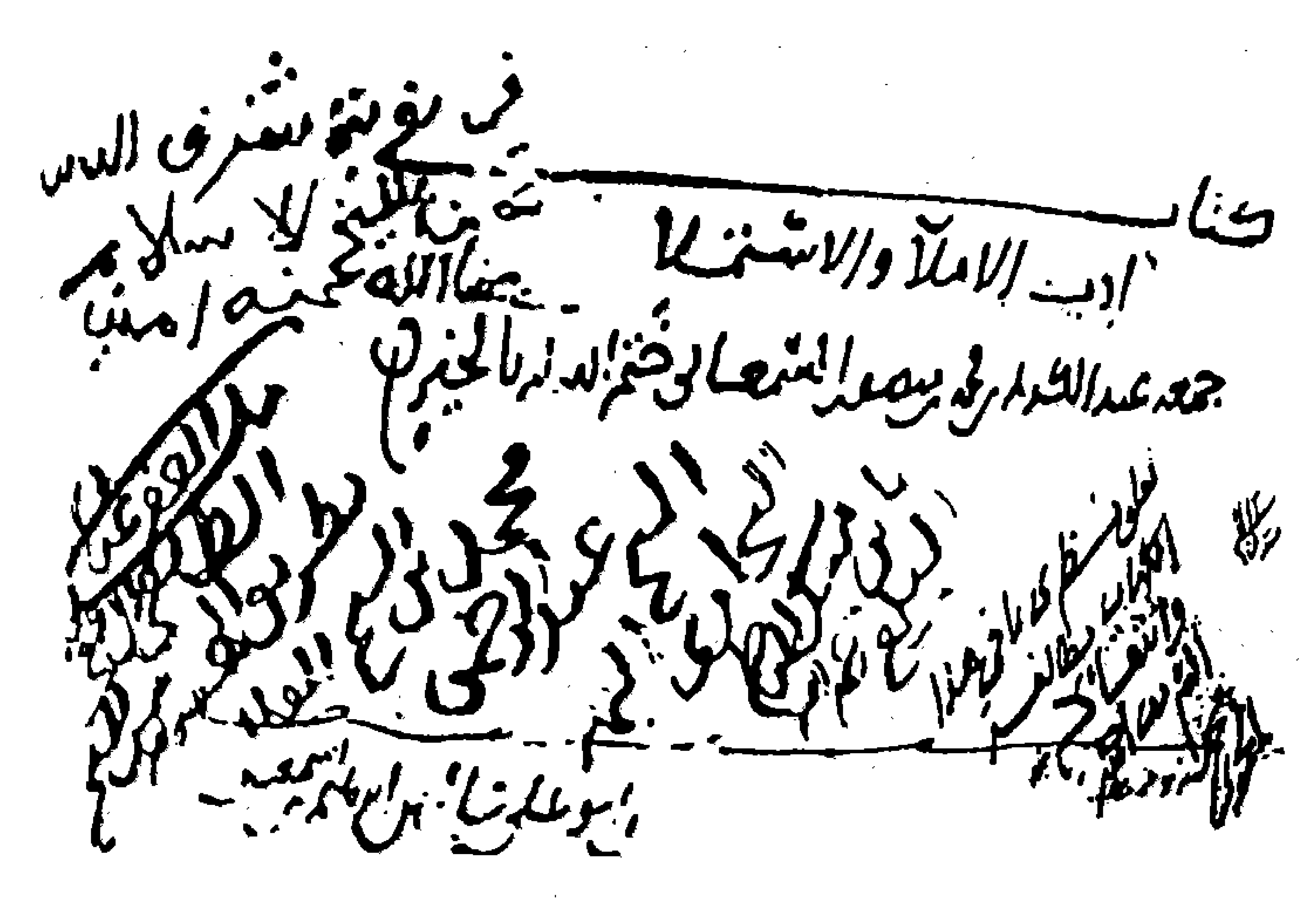
(١) ثبت مسموعات الضّياء المقدسيّ ٥٣.

(٢) طبع هذا الجزء قديما في المكتب الإسلاميّ بتحقيق الشّيخ شعيب الأرناؤوط ، اعتمادا على نسخة مخطوطة في مجاميع العمريّة بالمكتبة الظّاهريّة بدمشق الشّام ٥٦ (٦٢ ـ ١٠٦)، وقد أشاد بفضل الشّيخ الألباني في اكتشاف هذا الجزء فقال ـ رعاه الله ـ: « وقبل أن أختم كلمتي لابدّ لي من إزجاء الشّكر الجزيل للأستاذ المحقّق الشّيخ ناصر الدّين الألباني، الذي كان له له الفضلُ في استخراج هذا الكنز النّفيس من كنوز أجدادنا العظماء، والإشارة بطبعه » .

وإبراهيم بن سعيد صاحب هذا الإهداء : هو الإمام الحافظ المتقن العالم أبو إسحاق النّعماني المصريّ الكُتُبِيّ الورّاق الحبّال الفرّاء ، توفّي سنة ٤٨٢هـ[١].

والمُهْدَى إليه : هو المحدّث الثّقة العالم أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدينيّ ثمّ المصريّ، توفّي سنة ٥١٧هـ[٢].

الثّانية : أدب الإملاء والاستملاء تأليف الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن محمّد السّمعاني المتوفّى سنة ٥٦٢هـ[٣].



يقرأ نصّ التّملّك عن طريق الإهداء المثبت تحت اسم المؤلّف كما يلي : « ملك عبد الظّاهر الشّافعيّ بطريق الهديّة من الشّيخ محمّد ابن الشّيخ العلاء ابن الشّيخ عبد الرّحمن البخاري الشّهير بابن مسك النّاظم البليغ رحمه الله ».

---

(١) مترجم في سير أعلام النّبلاء ١٨/ ٤٩٥ ـ ٥٠١.

(٢) نفسه ١٩/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

(٣) طبع بدراسة وتحقيق: أحمد محمّد عبد الرّحمن محمّد محمود، في مطبعة المحموديّة، اعتمادا على نسخة مكتبة فيض الله بتركيا ورقمها: ١٥٥٧.

المبحث الثاني : الشّيخ الألباني وإهداءات الكتب

إنّ إهداءات الكتب أمرٌ تداوله أهل العلم والفضل بينهم والشّيخ الألبانيّ واحد منهم، أهدى كتبا وأهديت إليه كتب، وقد أفصحتُ في المقدّمة عن أمنيّتي في الحصول على ما دبّجه الشّيخ من إهداءات على غواشي كتبه التي قدّمها هديّة لعدد من الأعلام، وإن كان هذا الأمر يبدو لأوّل وهلة صعب المنال، لوفاة أغلب أقران الشّيخ القدماء الذين يغلب على الظّنّ وجودُ إهداءات لهم من طرف الألبانيّ. لكنّه لو اجتهد باحثٌ وتتبّع خزائن المشاهير لوجد بلا ريب على تصانيف الشّيخ الموجودة في تلك الخزائن شيئاً من إهداءاته، فعلمٌ محبّ للألباني معجب بعلمه كالشّيخ محمّد نصيف قد أكثر من إهداءاته إليه فلا أستبعد أن يكون الألبانيُّ أرسل إليه شيئا من تواليفه وطرّز عليها كلمات إعجاب وتقدير، وهذا العلاّمة المعصوميّ يؤكّد على الألباني هذا الأمر قائلا ـ كما في الإهداء رقم : ٧٤٢ ـ :

« يا أخي إنّي لا أنساك فأرجو لي أن لا تنساني، وقد أرسلتُ إليك الآن مع هذا الحامل عبد الرّحيم قاري الأرطوشي رسالتي: " هديّة السّلطان إلى مسلمي بلاد جابان " تذكاراً منّي، وأنت كذلك أرسل إليّ ما لديك من آثارك وآثار غيرك ممّا يعجبك »، ولا أحسب الألبانيّ إلاّ مسارعا بالإثابة اقتداء بحبيبه ﷺ الذي كان يقبل الهديّة ويثيب عليها، ولكنّ الشّأن في معرفة مآل مكتبة العلاّمة المعصوميّ وأمثاله من أهل العلم كمحمّد نصيف ومحمّد حامد الفقي وعبد الرّحمن الإفريقي وغيرهم.

ويقول شيخُ تطوان الفقيه أبو أويس محمّد أبو خبزة المغربي في زيارته للألباني بدمشق عام ١٤٠٤هـ ـ كما في الإهداء رقم : ٥٠٩ ـ :

« جالستُه رحمه الله ساعةً أعدُّها من أبرك ساعات العمر، وأهداني الجزء الرّابع من " السّلسلة الصّحيحة "، وكان حديثَ الصّدور وفي تجليد فاخر، وكتب الإهداء

بخطّه، فاستأذنته في الرّواية مناولةً فقال: وما معنى الإهداء لأهل العلم إلاّ ذلك؟ » ؛ فالشّيخ يعتبر إهداءات الكتب بين أهل العلم كالإجازة بروايتها.

والجدير بالذّكر أنّ ثمّة إهداءات غريبة يراها القارئُ في بعض الكتب ـ وليس في كتابنا هذا شيءٌ من ذلك والحمد لله ـ كقول صاحب الإهداء: " إلى روح فلان "، ونحوها من عبارات يخاطبون بها أرواح الأموات، فلا شكّ في بدعيّة هذا النّمط وخروجه عن مسلك أهل العلم والفضل ، و قد سأل الشّيخ محمود أبو عبد الرّحمن الجزائري العلاّمةَ الألبانيَّ عن ذلك في زيارته له بالأردن، فأجابه الشّيخ ببدعيتها. وأختم هذا المبحث بصورة إهداء الألبانيّ ـ بخطّه ـ إلى شيخنا المحدّث حمّاد بن محمّد الأنصاريّ ، وذلك على كتاب الشّيخ : " التّوسّل أنواعه وأحكامه " ، و ألحق به ـ للفائدة ـ إهداء الشّيخ حمّاد إلى الألبانيّ ـ رحمة الله عليهما ـ :

هدية المؤلف
الى فضيلة الشيخ
حماد محمد الأنصاري
٥/١٢/٩٥هـ
محمد ناصر

يقرأ نصّ إهداء الألباني إلى الأنصاري كما يلي : « هديّة المؤلّف إلى فضيلة الشّيخ حمّاد محمّد الأنصاريّ ٥ / ١٢ / ٩٥هـ ـ محمّد ناصر ».

وهذا إهداء الشّيخ حمّاد الأنصاري إلى الشّيخ الألبانيّ رحمهما الله تعالى :

هدية من الراجي عفو ربه الباري حماد بن محمد الأنصاري
لأخيه شيخ الحديث ناصر الدين الألباني سلمه الله آمين
٢٨/ ٧/ ١٤٠٣هـ

« هديّة من الرّاجي عفوَ ربّه البـاري، حمّـاد بـن محمّـد الأنصـاريّ، لأخيـه شيـخ الحديث ناصر الدّين الألبانيّ سلّمه الله آمين ـ ٢٨ / ٧ / ١٤٠٣ هـ ».

وجـرى علـى هـذا السّـنن ولـدُ الألبـاني " محمّـدٌ " فأهـدى عـام ١٤٠٥هـ إلى الأنصاري سلسلة والده الصّحيحة في جزئها الرّابع، وكتب ما صورته :

هدية
لفضيلة الشيخ
العلامة حماد الأنصاري
راجياً منه الدعاء لنا
بالتوفيق والسداد .

ابنكم
محمد بن محمد ناصر الدين الألباني
١١/ ٧/ ١٤٠٥ هـ

يقرأ هذا الإهداء كما يلي: « هديّة لفضيلة الشّيخ العلاّمة حمّاد الأنصـاريّ، راجيـا منه الدّعاء لنا بالتّوفيق والسّداد. ابنكم: محمّد بن محمّد ناصر الدّين الألبـانيّ ـ ١١/ ٧/ ١٤٠٥هـ ». وهذا من صلة ودّ الأب في الحياة، وأنعم بها من شيمة كريمة.

المبحث الثالث : تواريخ الإهداءات الواردة في الكتاب

أفردتُ لتواريخ الإهداءات الواردة في الكتاب فهرسا خاصّا، إذ من خلاله يمكن للباحث معرفة عدد الكتب المهداة إلى الألباني في تاريخ واحد، كما يستفاد عمر الشّيخ الذي بلغه في هذا التّاريخ، ويكشف لنا أكثر من كتاب أهداه نفس المهدي، ويتّضح لنا به تاريخ أوّل كتاب أهدي إلى الألباني وآخره.

المبحث الرّابع : خصائص هذه الإهداءات

يلاحظ النّاظر في الإهداءات الواردة في هذا الكتاب عناصر تتكرّر غالبا في صياغتها، ويمكن إجمالها فيما يلي :

أوّلا : المُهْدي ، وهو صاحب الإهداء الذي خطّه بيده، وغالبا ما يكون مؤلّف الكتاب المُهْدَى أو محقّقه أو ناشره أو رجلا آخر معجبا بعلم الألبانيّ، أو تربطه به صداقة، فيقتني كتابا ويقدّمه إلى الشّيخ هديّةً. ويثبت المُهْدي اسمه عادة في آخر جملة الإهداء، وكثيرا ما يعقبه بتوقيعه.

ثانيا : المُهْدَى إليه ، وهو في كتابنا هذا العَلَمُ الشّامخ محمّد ناصر الدّين الألبانيّ، وغالبا ما يثبت المهدون اسمَه في بداية جملة الإهداء، واصفين إيّاه بألقاب علميّة، وخلال سنيّة، تراها مجموعة في فهرس خاصّ أفردته لهذه الألقاب والأوصاف.

ثالثا : تاريخ الإهداء ، وعادة ما يثبته المهدون في آخر جملة الإهداء، محدّدا بالتّاريخ الهجري أو الميلادي أو كلاهما معا، وفي عدد منها تحديد لليوم الذي كتب فيه الإهداء. ولا شكّ في قيمة هذا التّاريخ، وقد عقدتُ لتواريخ هذه الإهداءات فهرسا خاصّا ذكرتُ في أوّله أنّه يمكن - من خلاله - للباحث معرفة عدد الكتب المهداة إلى الألباني في تاريخ واحد، كما يستفاد عمر الشّيخ الذي بلغه في هذا التّاريخ، ويكشف

لنا أكثر من كتاب أهداه نفسُ المهـدي، ويتّضـــح أخـيرا تـاريخُ أوّل كتـاب أهـدي إلى الشّيخ الألبانـــيّ و آخـره .

رابعا : البلد الذي كتب فيه الإهداء ، وغالبا ما يقترن بتاريخه، وقد أفردت لـذلك فهرسا خاصّا أيضا، ذكرت فيه أنّ البلدان والأماكن التي صرّح بها أصحاب الإهـداءات قليلة، والتي سكتوا عنها ـ مع الأسـف ـ كـثيرة، وتمنّيـتُ أن لـو تكـرّم المهـدون فـأثبتوا أسماءها كما أثبتوا تواريخ إهداءاتهم. لكـن يمكـن القـارئَ معرفـةُ كـثير منهـا بسـهولة خاصّة مع الأعلام المشهورين بالتّأليف والتّحقيـق. ويسـتفاد مـن هـذا الفهـرس معرفـة مدى انتشار صيت الشّيخ الألباني في الآفاق والبلدان، وندرك من خلال عدد منها البلـد الذي التقى فيه المُهدي والمُهْدى إليه.

خامسا : سبب الإهداء، ونجده في عـدد كـثير مـن الإهـداءات يفصـح أصـحابها للشّيخ الألباني برغبتهم في اطّلاع فضيلته على ما ألّفوا أو حقّقوا، راجين منه ملاحظاتـه وتوجيهاته. وسبب آخر هو إبداء مدى إعجابهم بعلم الشّـيخ وحـبّهم لـه. وكـثير مـنهم يبدي للشّيخ عن طريق هذا الإهداء تأثره بعلمه وتوجيهه، ويصرّح بفضل الألباني عليـه من ناحية التّوجّه إلى العلم، وسلوك هدي السّلف الصّالح في العلم والعمل، وآخر يخـبر الشّيخ أنّ هذا التّأليف أو التّحقيق ما هو إلاّ ثمرة من ثمـرات غـرس الشّـيخ في طلاّبـه، إلى غير ذلك من أسباب يدركها المتمعّن في هذه الإهـــداءات .

المبحث الخامس : فوائد هذه الإهداءات

تكتسي هذه الإهداءات أهمّيّة واضحة لتعلّقها بشخصـيّة علميّـة بـارزة، كـان لهـا دور كبير في النّهضة الحديثيّة التي شهدها منتصـف القـرن الرّابـع عشـر وبدايـة الخـامس عشر، ألا وهو المحدّث الكبير الشّيخ محمّد ناصر الـدّين الألبـانيّ (١٣٣٢ ــ ١٤٢٠هــ)،

وقد عاصر الشّيخُ أعلاما كبارا درجوا - إن شاء الله - إلى رحمته، واحتفظت هذه الإهداءات بعدد من إهداءاتهم بخطوطهم إلى الشّيخ الألباني، وقد أشادوا فيها كغيرهم بعلم الشّيخ وجهوده في خدمة السّنّة النّبويّة، وتوعية النّاس بضرورة التّقيّد بالمصدرين الصافيين كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ على ضوء هدي السّلف الصّالح. ويتجلّى من خلال هذه الإهداءات مدى الصّدى العلمي الذي بلغه الشّيخ، حيث وردت إليه إهداءات شتّى من بلاد عديدة وأماكن كثيرة، أفردتُ لها فهرسا خاصّا آخر هذا الكتاب.

إنّ هذه الإهداءات نموذج لطيف يستجلى به جانب تاريخي هامّ يتعلّق بسيرة محدّث العصر، وقد أضفت خطوطُ أصحابها رونقا خاصّا يوثّق لنا بشكل دقيق علاقة متينة كانت تربط الشّيخَ الألبانيَّ بعدد من الأعلام على شتّى تخصّصاتهم، وتنوّع فنونهم، وتشهد في مجملها للمكانة العلميّة المرموقة التي بلغها الشّيخ المحدّث محمّد ناصر الدّين الألبانيّ رحمة الله عليه، كما نكتشف من خلال هذه الإهداءات شهادات نادرة لأعلام كانوا مخالفين للشّيخ في توجّهه السّلفي، لكنّهم أشادوا بعلمه وأبانوا عن إعجابهم بجهوده في خدمة السّنّة النّبويّة.

المبحث السّادس : منهجي في جمع مادّة الإهداءات

إنّ هذه الإهداءات التي جمعها كتابنا هذا: « حصول التّهاني بالكتب المهداة إلى محدّث الشّام محمّد ناصر الدّين الألبانيّ » دبّجها أصحابها بخطوطهم على غواشي الكتب التي ألّفوا أو حقّقوا، وقد أجهدني - علم الله - استخراج هذه الخطوط، وكان يكفي الباحث أن يقيّد عبارات الإهداء دون الاهتمام بصور الخطوط، لكنّني رأيتُ في ذلك قصورا ينبغي تجنّبه في تأليف كتاب يتعلّق بمثل هذه الشّخصيّة العلميّة البارزة، واستعنتُ الله تعالى على إضافة تلك الخطوط لإضفاء مصداقيّة أكبر على مضامين تلك

الإهداءات. ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ عددا كبيرا من كتب الشّيخ مرّت عليه سنين عديدة، وأوقات مديدة، تأثّرت فيها خطوطُ المهدين بفعل الرّطوبة وتقادم الحبر، ولا ننسى أنّ المكتبة انتقلت جملة بانتقال الشّيخ الألبانيّ من دمشق إلى الأردنّ في حياته، والمدينة النّبويّة بعد وفاته، ولولا تيسير الله تعالى لكاتبه برنامج " الفوتوشوب - photoshop " المستخدم في تنظيف الصّور من آثار الحبر والرّطوبة وغيرها لما تمكّنتُ - فيما أحسب - من إبراز هذه الإهداءات بمنظر يسرّ - إن شاء الله - النّاظرين.

لقد أخذ منّي استخراج هذه الإهداءات وترتيبها في الكتاب على ترتيب أسماء الكتب، وقراءتها، ووضع كلّ خطّ في مكانه، مع تنظيف ما احتاج إلى تنظيف، حولين كاملين، مع ملاحظة أنّ عددا من هذه الإهداءات كتب بخطوط مائلة، وندّت كلمات كثيرة بسبب ضيق محلّ الكتابة، واعوجّت أسطر كثيرة وتباينت، ممّا اضطرّني إلى توسيطها ليستوي تنسيق صفحات الكتاب، غير أنّ الخطّ هو الخطّ، والكتابة هي الكتابة، وافترق الأمرُ فقط في تنظيم كلمات وتنسيق أسطر وإقامة اعوجاج.

إنّ منهجي في هذا الكتاب قام على ترتيب الكتب فيه حسب توالي حروف المعجم، واضعا أوّلا اسم الكتاب، ومؤلّفه، ومحقّقه، وتاريخ الطّبع، وبلد الطّبع، ثمّ وضعتُ خطّ الإهداء تحت اسم الكتاب، ثمّ أدرجتُ قراءتي لمحتوى الخطّ، مضيفا أحيانا نادرة فائدة عن صاحب الإهداء يليق ذكرها في المقام، كما فعلت مع الشّيخ الفقيه أبي أويس محمّد بوخبزة التّطواني المغربي حيث ضممتُ - كما في الإهداء رقم: ٥٠٩ - رسالة كان أرسلها إليّ فيها بعضُ ذكرياته المتعة مع الشّيخ الألبانيّ رحمه الله تعالى.

وبعد : فهذا - أيّها القارئ الكريم - جهد المقلّ، وقد بذلتُ قصارى جهدي ليخرج الكتابُ في صورة تليق بمقام عَلَمٍ في مكانة الشّيخ العلاّمة المحدّث الفقيه محمّد

ناصر الدّين الألبانيّ، وكانت أمنيّتي أن أتتبّع خبر كل صاحب إهداء وعلاقته بالشّيخ الألبانيّ، ومحاولة معرفة شيء من أخباره معه، لكنّ ذلك أمرٌ فوق استطاعتي، ولو حاولتُ لتعذّر لوفاة كثير من أصحاب الإهداءات، وصعوبة الالتقاء بأحيائهم ـ أطال الله في الخير أعمارَهم ـ وأملي إذا وصل الكتابُ إلى الفضلاء الكرام ممّن أهدوا إلى الألبانيّ كتابا أن يتكرّموا على أخيهم بذكرياتهم وانطباعاتهم حول الشّيخ الإمام، ولا شكّ أنّ كلّ واحد منهم ينفرد بذكريات لا توجد عند الآخر، وحينئذ تنجلي للجميع فوائد مكنونة، وفرائد مصونة، يمكن أن نفيد بها من بعدنا من الأجيال.

وأمنيّة أخرى جالت في خاطري وهو كتابة ترجمة للشّيخ الإمام بين يدي هذا الكتاب، لكنّني عزفتُ عن ذلك لشهرة الشّيخ التي بلغت الآفاق، ووجود مصنّفات ماتعة أفردها ـ لترجمته وإيراد ما قيل في رثائه من قصائد وأشعار ـ عدد من المشايخ الكرام والفضلاء المحبّين المقرّبين من الشّيخ والعارفين بأخباره وآثاره.

وبينما أنا عازم على وضع القلم تذكّرتُ ورقةً كتبتها قبل سنوات لمّا بلغتني وفاة الشّيخ ـ رحمه الله ـ ورأيتُ ذكرها هنا لا لقيمتها التّاريخيّة، ولكن لأنّني كتبتها حينئذ بحزن وأسى ولوعة وشجى، ما زلتُ أشعر بها كلّما ذكرتُ هذا الإمام، وعظيم فضله علينا معاشر طلبة العلم، فقلت ـ غفر الله لي ـ :

« وفي عصر يوم السّبت ٢٢ جمادى الاخرة من عام ١٤٢٠هـ الموافق للثّاني من شهر أكتوبر عام ١٩٩٩م توفّي إمام الدّنيا، وشيخ الحديث، وفقيه الملّة، الرّبّانيّ العابد، والمحتسب الصّابر، والإمام المجاهد، أبو عبد الرّحمن محمّد ناصر الدّين الألبانيّ، شيخنا وإمامنا ومعلّم النّاس سنّة محمّد ﷺ، عن عمر يناهز ٨٨ عاما، بعد حياة مليئة بالعلم والتّأليف، والدّعوة إلى السّنّة المحمّديّة المحضة، ولقد كان ابن تيميّة زمانه، علما وعملا،

صلاحا وتقى، صبرا وتحمّلا، وكان يتّقد ذكاء وفطنة، كأنّ عينيه عينا أسد، قويّ المناظرة والاحتجاج، لإلمامه الشّديد بالسّنّة النّبويّة حفظا وفهما. وقد زرتُ شيخنا الألبانيّ في بلد الأردن قبل بضع سنوات وحظيت معه بلقاء بين العشاءين، وأجابني عن بضع أسئلة سلّمنيها شيخنا محمود أبو عبد الرّحمن. كما رأيتُه في المدينة النّبويّة وحضرتُ بعض مجالسه فيها، كما زرته ـ مع أخي الكريم أبي عبد الباري رضا بن خالد الجزائري ـ في خيمته بمنى عام ١٤١٠هـ وحظينا برؤيته، وأذّنتُ بين يديه، وصلّينا خلفه، وسمعنا قراءته، ورافقناه في بعض مناسك الحجّ، والسّائقُ بالشّيخ وخادمُه أبو ليلى الأثري؛ فرحم الله الشّيخ رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنّاته، ورزقه الفردوس الأعلى، مع النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، وحسن أولئك رفيقا. وقبل أيّام ودّعنا سماحة صاحبه العلاّمة الإمام الشّيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وها نحن نودّع بعده العلاّمة الألباني، الذي طبقت شهرتُه الآفاق، وبلغت تصانيفُه بلاد الدّنيا، اللّهمّ ارحمه وارزقه مصاحبة حبيبه محمّد ﷺ آمين.

وكتب: جمال عزّون بعد عشاء السّبت ـ ٢٢ / ٦ / ١٤٢٠هـ».

وأخيرا أودّ الاعتذار عن قصور يراه القارئُ في هذا الكتاب، وأملي النّصح والتّوجيه، والسّتر الجميل، وقد أبى الله أن يُتِمَّ إلاّ كتابَه، وفّق الله الجميع لما يحبّ ويرضى، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات.

